

بين الاستراكية والبرجوازية

بمباريات أسيوف
ترجمة كمال عطية

الادبي المعاصر لوجود هذا أو ذاك من « البناء أو البناء السابق » حسب التعبير الأكثر ملاءمة في الوقت الحاضر ، مما يؤدي الى رسم صورة غير صحيحة تماما للاحداث الادبية مع تحريف الابعاد النفسية والاجتماعية . لان الشخصية الخلاقة ، ومعها القدرة على اصدار آية أحكام حول الاسلوب الفني ، تكون قد أرغمت على الضياع ، وقد ضاعت فعلا تحت وطأة « التركيبات » أو « التركيبات السابقة » .

كما نجد « رينيه جيرارد » في بحثه الخاص عام ١٩٦١ عن « الكذب الرومانتيكي والحقيقة الروائية »
« Mensonge romantique et la vérité romanesque »

يصور الفنان باعتباره ضحية لقوانين المؤلف ، باعتباره « سجين القواعد » التي تعمل في النهاية باستقلال كلي عن ذاته . مثل هذه النظرية عن الارغام المطلق لارادة الفنان لم يكن ممكنا أن توجد الا في حالة الازمات النفسية الحادة التي تحاصر الغرب الرأسمالي اليوم .

فالاسلوب الفني - في رأي جيرارد - لا يمكن فصله عن « الوضع العضوي » للعالم المحيط وهو أقرب ما يكون الى مفهوم القدرة البسيطة على التكرار .

وتبعاً لما يقوله الناقد الفرنسي ، فان حقيقة الامر تلخص في ان الادب يعكس باستمرار « التمزق الداخلي للقيم » وان التطور الكامل للادب يتم في دائرة مغلقة . ولذلك يقول عن أعمال الكتاب الذين درسهم دراسة مفصلة ان « روايات ستندال ، وفلوبير ، وبروست ، ودستوفسكي ، هي مراحل على طول طريق واحد . فهم يصورون حالات متوالية من الفوضى التي تنتشر دائماً باتساع كبير وتنمو بدرجة أعمق » .. وهذا هو الدرب المظلم الذي يقودنا اليه مؤلف « الكذب الرومانتيكي والحقيقة الروائية » .

ان النظرة الاشتراكية لجوهر الادب ، وللأسلوب الفني والمقدرة الخاصة للكاتب تختلف كلية عن نظرة رينيه جيرارد وكثير من الدارسين المعاصرين الآخرين الذين لهم نفس وجهات النظر . ان مسألة الاسلوب هي المجال الأكثر أهمية في نظرية الادب ، وسوف نقرب من هذا المجال من زوايا مختلفة لكي نضيء كل جوانبه دون ان نترك أياً منها في الظلام . وسوف نبدأ من حقيقة ان هناك علاقة جدلية بين اسلوب الواقعية الاشتراكية وبين الفردية الفنية التي تكون عارية في داخل جوهرها الاسطوري . اننا لا نستطيع أن نقنع باللاحظات الفردية المتصلة بدائرة المسائل التي تنتج عن ارتباطنا بهذا التعميم الاساسي . فالقواعد المقعدة تحتاج أن نمتلك ثروة كاملة عن الحياة الادبية المعاصرة .

اننا نبحث في تلك القواعد المعقدة التي تحدد معناها بالحقيقة القائلة انه بالنسبة للمراحل الأولى في التاريخ يكون في مقدورنا أن نكشف عن دور فردية الفنان في مجالها وأهميتها الكاملة ، ان نكشف كل زواياها مع الحياة ككل . .. حياة المجتمع .

تحرز * المسائل النظرية في الادب ، وفي الفن الخلاقي كله على وجه العموم ، أهمية خاصة في وقتنا الحاضر . وفي نفس الوقت يكشف الاقتراب من تلك المسائل عن تضاد حاد في وجهات النظر . فالمفهوم الاشتراكي للفن يندفع منطلقاً نحو الامام مدعماً دائماً بالتجربة الشاملة للواقعية الاشتراكية ، بينما على العكس منه ترتبط المفاهيم الأخرى بدرجات متفاوتة بالازمات النفسية في العالم البرجوازي : ابتداء من « نظرية الشخصية الكاملة » في الشعر التي وضعها ت.س. اليبوت في مقاله القديم عام ١٩١٩ عن - التقاليد والموهبة الفردية - والتي أعلنت عن الانقراض التدريجي للفنان الفرد ، الى النظريات الذاتية المتعددة التي تحتل النزعات الوجودية المختلفة المكان الاول بينها .

والصراع بين الاتجاهين في تطور الادب الحديث - الاتجاه الاشتراكي والاتجاه غير الاشتراكي - يتأرجح كذلك في مجال فلسفة الفن الخلاقي . والاختلاف بين الاتجاهين يبدأ من السؤال الاساسي عن الكيفية التي بها نفهم الانسان .. آماله وقدراته .

فالاشتراكية الانسانية تقدر بدرجة عالية قيمة التكامل الانساني ، بينما تعتمد الاتجاهات المعادية للاشترائية على الاقتناع بان الاستسلام والمجز هي الصفات الاولى في الانسان الحديث . وذلك هو السبب مثلا ، في وجود هوة بين المنهج الجمالي الذي وضعه «جوهانز ر. بخر» في دراساته الاخيرة عن نظرية الواقعية الاشتراكية وبصفة خاصة في كتابه عن « المبدأ الشعري »
Das poetische Pring pe

الذي يتضمن افكاراً عديدة رائعة عن « مملكة الانسان » ، ومن ناحية اخرى بين أي نظرية حديثة في علم الجمال تقوم على « اللعب ، والخوف ، واليأس ، والهلاك » والصفات الأخرى الملائمة دائماً لعلم الجمال في الوقت الحاضر الذي يعكس في تعبيراته العجز عن رسم أبعاد المجتمع البرجوازي .

وليس غريباً ان يكون « المبدأ الشعري » هو هدف هذه الاتجاهات المختلفة بحدة سواء بالنسبة الى الفهم الاشتراكي والى الانواع العديدة من الوجودية .

فالحد الفاصل بين الاتجاهين في علم الجمال الحديث يتلخص في وجود - انسان يواجه مستقبله العظيم ، وانسان بلا مستقبل .. والدراسات المعاصرة في مسائل الشخصية الخلاقة أو الاسلوب الفني تعتمد مباشرة على هذا الحد الفاصل .

ففي المجتمع البرجوازي تتحول الشخصية الكاملة للكاتب بدرجة متزايدة حتى تصبح شيئاً مجرداً ، خلاصة من العنصر الخاص والفريد الذي تساهم به في تطور الادب . ولقد انعكس هذا الامر في كثير من أعمال دارسي الادب في اوربا الغربية . فنجد على سبيل المثال « كليمنز هيزليوبز » ينشر مؤخرًا في عام ١٩٦١ كتابه الخصب « الشعر الغنائي الألماني الحديث »
Deutsche Syrik der Moderne

الذي يسعى فيه « الاسلوب الحالي » باستمرار الى تحطيم التطور

● نشر هذا المقال بمجلة « الادب السوفياتي » - عدد ٣ ، سنة ١٩٦٤ تحت عنوان « فلسفة الفن الخلاقي » .

ان اسلوب الواقعية الاشتراكية هو الاسلوب الانساني حقيقة ، وبداخله تجد فردية الفنان كل فرصة للتطور .

هناك كذلك جدلية في الصلاقة بين الادب البرجوازي المعاصر وبين لبه اللانساني واللامعقول . فمع ان الدراسة الادبيية البرجوازية تشبذ فكرة الاسلوب كلية ، أو لا تعطيهما الاهتمام الذي تستحقه ، فان الادب البرجوازي الهابط يصنع اسلوبه الخاص ... وهذا بدون شك موضوع جدير بالدراسة .

في عام ١٩٥٩ اصدر فرانسوا مورياك كتابه « ذكريات داخلية Mémoires intérieures » الذي يستحق كثيرا من الاهتمام ، ليطلق فيه عديدا من الافكار المبررة . انه لم يخدع بالضجة التي اثيرت حول ما يدعى « الادب المضاد » و « الرواية الجديدة » لانه كان يرى سمة الانحطاط في الاعمال الادبية التي تفخر بجديتها . فهو على سبيل المثال ، يقول عن « آلان روب جرييه » ان « تكيكه فسي معالجة السطح وتحوله المفاجيء الى العمق » لا يستطيع ان يجمع الادب طيبا ، ولا يستطيع الاسلوب الحالي ان يسعى « ليكتشف ما هو الاعقب في الانسان » . ومع ان مورياك يكاد يكون مزاجا كئيبا ، وتشاؤميته التي صيغت وجهة نظر الحياة الحديثة « تملك بخناقنا » الا انه مع ذلك يحاول ان يحافظ على فكرة سمو الكاتب ، الفكرة التي يراها تتلاشى أمام عينيه والتي يعلن عنها انها « مودة قديمة » .

وهجوم مورياك الذي يصاحب الفرزات الحديثة الى ميدان الرواية يبدو مشبعا بشعور من عدم الاستقرار . لان الجيل السني لا يزال مرتبطا بالتقاليد الكلاسيكية الواقعية يدي استعداده دائما لان ينزل الى الهامش ، مزيا نفسه بذكريات الماضي عندما كان الادب لا يزال عند قمة أعلى من التي يقف عندها روب جرييه . فمورياك يكتب بشيء من الاسى والتأنيب الصامت قائلا : « أنا أنتمي الى الجيل الذي اعتقد في الانسان » . وربما يعطينا هذا القول انطباعا بأن المفاهيم القديمة البالية لانسانية مورياك كافية لان تكشف عن اسرار الشيء الخارق في « الادب » الذي يقلق سلام الكاتب الموقر ، ولكن تلك المفاهيم في الحقيقة غير كافية لان نهمل ونكتشف بقسوة خرافة الإبداع الزيف الحديث .

ولذا فان « ذكريات داخلية » يقودنا الى أعماق الازمات النفسية التي يكون الادب قد مارسها في المجتمع البرجوازي ، الادب الذي فقد الايمان بالانسان والذي يخفي بكل الطرق الحقيقة الجارية للواقع . ان الحيرة تسحق الكاتب القديم الذي يدرك ان الفشل محتوم غير انه عاجز لا يستطيع الخلاص باي طريق .. وانما يشعر فقط باليأس .

وفي الموقف التاريخي الذي يسود العالم اليوم ، لا يبدو من قبيل التزييف ان ممثلي الادب الاشتراكي هم اولئك الذين يدافعون عن فردية الفنان . ولا قيمة لذلك الهراء الذي يؤكد ان فردية الفنان ليس لها أهمية في الواقعية الاشتراكية ، بحجة ان الواقعية الاشتراكية « أدب احصاءات » وهي لذلك تقتضي ضياع ذاتية الفرد وتؤدي الى المساواة العامة !! .

فان كل من يستطيع ان يحلل بصورة موضوعية الموقف الادبي المعاصر ، لا بد من ان يصل الى النتيجة التي تؤكد انه في العالم الاشتراكي فقط يمكن ان تحظى فردية الفنان بتأييد وافر بينما يهددها المجتمع البرجوازي المعاصر بفرديته المهووسة .

ان فكرتنا عن الاسلوب والفردية الفنية تختلف تماما عما نجده في ادب العالم الرأسمالي المعاصر وفي مفاهيمه النظرية . وهذا الاختلاف الملحوظ يقوم وسوف يقوم باستمرار الى ان يتحول الدارس عن مجال الخرافات العزيزة في الفكر البرجوازي المعاصر الى مجال الاساليب الحقيقية الموجودة في الادب الحديث .

وفي المقال القصير الذي كتبه « روبرت دي ليديه » عن « جين انويل » قد نجد تعبير « المدى الشعري » ، حيث يقول ان

تمثيلات انويل - التي ليس لها قيمة في موضوعها - تكون دائما مجرد اعلان عن نفس « العالم الخيف لانويل » وانه يرتبط دائما بقلب « المدى الشعري » .

وهنا نضل الى طابع نموذجي ثابت في كل ادب المودرنيزم المعاصر، مثل « جلد الشجن » لبلازك التي ينصفت « مداها الشعري » دون رحمة . ولسنا في حاجة بالطبع لتقديم دليل على انه لا توجد مثل هذه الظاهرة في المسكر الاشتراكي ، أو على ان ادبنا يتقدم على طول الطريق في « مدى شعري » موسع دائما ، فان ذلك أمر واضح لا يحتاج الى دليل .

واذا كان المدى الذي وصلت اليه عملية ضياع « المدى الشعري » يمكن استخلاصه فقط من داخل حدود الادب ، فاننا نستطيع مع ذلك ان نتخذ اتجاهها اخر .

فدعنا نأخذ الكتاب الشهير « مجتمع الرخاء » الذي كتبته الاقتصادي الاميركي « جون جالبرايت » ، فهذا الكتاب يعتبر خلاصة الرأسمالية المعاصرة ، كما ان جون جالبرايت هو احد الاشخاص الذين يمارسون تأثيرا معينا في سياسة حكومة الولايات المتحدة الاميركية . في هذا الكتاب يرسم جون جالبرايت صورة جذابة للنظام الاجتماعي القائم في اميركا اليوم : حيث يتحدث عن القدرة للوصول الى الثراء ، وعن الفقر « المحدود » وعن « التوازن الاجتماعي » الذي حققته البلاد . و جون جالبرايت معجب بصفة خاصة « بالبطنية الجديدة » التي اكتشفها والتي تشكل الحصن ومعقد الامال لاستقرار النظام الاجتماعي القائم . تلك الطبقة تشمل اصحاب الرتب الحسنة من المهندسين ، والمدبرين ، وعلماء التخصصات المختلفة ، والكتاب ، والمثليين ، والاطباء ، والمدرسين ، ورجال الكنيسة . وهو يذكر لنا ان قيام هذه « الطبقة الجديدة » انما يرجع الى حقيقة ان « الطبقة العاطلة في الوقت الحاضر ، خاصة في الولايات المتحدة الاميركية ، قد اختفت على الاقل في أية ظاهرة يمكن التحقق منها » .

ولسوف تترك لضمير المؤلف كلا من القصة الخيالية عن تحويل الذئاب الرأسمالية الى حملان وديعة ، واكتشاف الطبقة الخاصة التي توفر الاستقرار للنظام الرأسمالي .

ان جون جالبرايت يرسم في كتابه الضخم صورة يتويبه للرأسمالية الحديثة . الا انه في الفصل الاخير من كتابه تسقط على لسانه الكلمة البسيطة « السعادة » ، وهذه الكلمة تظهر ان العالم الذي حدثنا عنه - عالم التلاجات وأحدث موديلات السيارات ، وكل تلك « البضائع على الحساب » - هذا العالم لا توجد فيه سعادة انسانية .

ان الكاتب الذي ناقش كل الامور بهذه الفصاحة ، يسقط فجأة في القموض عندما يتساءل .. السعادة ؟ ثم يجيب « ولكن فكرة السعادة

فندق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز وأسعار معتدلة

بإدارة : حلمي المباشر

افتراضا .

انها تظهر كما لو انه ليس هناك « مأساة اميركية » ، ولا « اميركا المساوية » ، كما لو ان الجريمة ليست في تزايد مستمر بالولايات المتحدة وان الانحطاط الانساني ليس امرا عاديا بعد !! وربما يقول لنا اروين هود ، ان « ذلك كان منذ ٢٥ سنة مضت ولا يمكن ان يحدث الان » .. ولكن ماذا عن رواية شتاينبك الرائعة « شتاء سخطنا » التي ظهرت في عام ١٩٦١ ؟ .. ان بطل الرواية هو بالفعل انسان رخاء « مجتمع التكافل » !! .. ففي هذه الصورة المحورة « للمأساة الاميركية » يكون وجود انسان محترم « حلوا » هكذا ، لدرجة انه في النهاية يبدأ الرحلة .. لكي يقتل نفسه !! ان بطل رواية شتاينبك الاخيرة هو بطل حقيقي للمجتمع الذي يتحدث عنه المدافعون عن الرأسمالية الحديثة يمثل هذه الالفاظ المنقطة .

ان اروين هود نفسه يرسم صورة قاتمة جدا « للمشهد » الاميركي المعاصر : صورة على العكس تماما لما ذكر من قبل عن رخاء جالبرايت و « رفاهه » ، حيث يوجد تفسخ العلاقات ، وحيث يكون كل شيء « محركا » وتزايد السلبية والخضوع في كل شيء . هذا « المجتمع التكافل » مجتمع تفس ، يحرم الانسان من السعادة . ففي جو « المدينة المحركة » التي تسود فيها « فوضوية الجشع » - تعبيري ذكي - وتخلق « غير الانسان » ، يوجد هناك اقتناع متزايد بان الناس لا يمكنهم طويلا ان « يعملوا .. في العلن » ، لانهم لكي يضمنوا الاستمرار في حياتهم يكون عليهم ان « يتسللوا خلال الحياة » . ومن السهل ان نتصور مدى تشويه الشخصيات الذي يصبح امرا محتما في مثل هذه الظروف .

ومن الواضح ان اروين هود ليس راضيا بمفهوم « الحديث » في الفن ، فهو يستبدله بتعبير « حركة التجديد » . وان الهوس المحوم الذي يدفع دارسي الحركة الادبية الاميركية لكي يطلوا ان الكتاب المحدثين هم فنانون كاملون يعكس موقف المناقسة الريفية التي يعيش فيها الفنان الاميركي البدع . ان فرص العمل الابداعي الحقيقي ، التي في هذا المستوى ، تبدو وقد حددت تحديدا قاطعا . والى جانب آراء اروين هود ، لا بد من ان نضع نظرية علم الجمال ل « ليونيل تريلينج » وهو ايضا من المشاهير في الولايات المتحدة الاميركية . لقد كتب بحثا كاملا في عام ١٩٦١ حول وجهة النظر الاميركية الخالصة عن الواقع والحيوية في الفن ، وهو البحث الذي اطلق عليه « العنصر الحديث في الادب الحديث » ، ويدور فيه الحديث عن ان الانفصال عن الروابط الاجتماعية وحالة ضياع الفرد الى درجة تدمير النفس ، هي الامور التي تميز الانسان في المجتمع الحديث وعند الكتاب المحدثين .

انا نساند الادب الذي هو « دراسة للانسان » ، واصطلاحنا يكون انسانيا بقدر ما يكون طبيعيا تماما . بينما في المسكر الاخر يستمر البحث عن مصطلحات مختلفة تماما ومتلازمة مع روح ورسالة اللانسانية التي تشكل الانجساح الرئيسي في الادب البرجوازي الحديث .

ان هناك دارس اميركي اخر هو « هاري ليفين » يعرف غرض الابداع الادبي بانه « انفصال الواحد عن الكل » . ان كلامنا يتذكر عبارة « ايلوار » العميقة « من افق انسان واحد الى افق كل الناس » التي تعتبر ذروة تطوره كفنان ، فخلف هذا الحد الذي يفصل ايلوار عن ماضيه الخاص ، يكمن الاضطراب الحقيقي ومأساة العزلة . ان هذه المعادلة الشعرية تحتوي على كل ما يشكل قوة وانفعال ايلوار الجديد الذي اصبح قريبا الى الناس والى ادب الواقعية الاشتراكية . ومعادلتنا هاري ليفين ، وايلوار ، هما قطبا الادب الحديث وعلم الجمال المعاصر .. ان الشيء « الاكثر حداثة » في الادب البرجوازي هو فكرة العبث التي تطورت بدرجة كبيرة في كتاب « ر.م. البيريه » عن « المغامرة العقلية للقرن العشرين » .. وهذا الكتاب مكرس للادب

تحتاج الى تحقيق فلسفي ، لانه لا يوجد اتفاق لا على كنهها ولا على مصدرها » . بل هو يذهب أبعد من ذلك فيعطي أحكاما ليس لها دخل مباشر بالسئلة التي نحن بصددنا ، وانما تؤكد باقتناع تام افلاس يوتوبيا جالبرايت . فهو يعلن في تأثر ان « مجتمع الرخاء » يعيش في « جو من الحرية والرعب في نفس الوقت » .

لقد كان على جون جالبرايت ، قبل ان يؤمن فعلا بالواقع فسي العالم الحديث وبالصراع بين النظامين الاجتماعيين والاقتصاديين القائمين فيه ، ان يعترف بانه لا يوجد مكان للسعادة في اليوتوبيا الرأسمالية التي رسمها .

ان هذا الاضطراب الغريب فيما كان لا بد من ان يبدو على انه يوتوبيا رائعة ومتوازنة بدقة ، ليس امرا مثيرا للدهشة بالنسبة اليها .. انه مسألة طبيعية في هذا الاتجاه الخاص .

هناك ولا شك علاقة متبادلة مباشرة بين يوتوبيا جالبرايت والمفاهيم الادبية الخالصة للكتابات الاميركيين الحديثين . ولذا يتصور « اروين هود » اننا نستطيع استخلاص استنتاجات محددة عن حالة « حركة تجديد الادب » عن طريق اعتمادنا على نظرية ما يسمى « مجتمع التكافل » الذي يعتقد انه قد تكون في الوقت الحالي تاركا اثره في كل جوانب الحياة ، بما فيها الادب .

وليس من الصعب ان نرى وجه الشبه بين « مجتمع الرخاء » و « مجتمع التكافل » ، فهما صورتان مختلفتان في الشكل فقط لنفسن الاسطورة الواحدة عن الرخاء والتوازن الرأسمالي . وفي ضوء هذه الاسطورة تنسب « الانماط » الجمالية المعاصرة ، بل وايضا القيم المتعارف عليها عالميا للكلاسيكيات ، مظهر الخوارق التافهة .

فتجد اروين هود ، على سبيل المثال ، يبدأ مقاله عن « مجتمع التكافل وحركة تجديد الرواية » بتفسير مشوش لرواية دستوفسكي « الجريمة والعقاب » حيث يقول :

« راسكولنيكوف ، راقد فوق سريره ، يخطط جريمة القتل الشهيرة ، وفي هذا الوقت « على الطريقة الاميركية تماما » يحضر اليه رسول بخطاب من مؤسسة جوجنهايم . انهم يطلبون منه ان يتوجه الى زاوية - تيفسكي برونزيتك وشارع ك - ليتسلم منحة دراسية بقرض القيام بالبحث الذي كان قد كلف به لدراسة « شاعرية بوشكين وعلاقتها بالاساطير المسكوفية القديمة » .. ويركع راسكو لينكوف ، وهو يهتز من الفرح ، على ركبتيه ويحني رأسه اعترافا بالجميل - الى أي مدى يشبه راسكولنيكوف هذا ، ذلك الذي صورته ديستوفسكي !! - » ..

ثم يمضي اروين هود قائلا : « ربما ينهي راسكولنيكوف حياته الان كاستاذ حكيم في الادب » .

ان هذه الترجمة لرواية ديستوفسكي كانت ستبدو شيئا مثيرا للضحك لو لم تقدم على انها نموذج واع لتمويه المناقشات الاجتماعية في « مجتمع الرخاء » حيث يكون حل الصراعات امرا « لا مناص منه »

مكتبة روكسي

اطلبوا منها الادب كل اول شهر
مع منشورات دار الادب
اول طريق الشام
صاحبها : حسن شبيب

وذلك هو السبب في أنه عندما يحاول الأدب الحديث في العالم الرأسمالي أن يظهر الإنسان بصفات وملامح شخصية معينة ، فإنه يواجه بالفشل وتكون النتيجة في كل الحالات . . انسانا بلا صفات . انه مرض غير قابل للشفاء فسي الأدب البرجوازي المعاصر ، وكل المحاولات التي تبذل في « الابتكار » - حتى مع اعتبارنا لمدرسة حركة تجديد الرواية - هو دليل عقيم . لانها كلها تتبرح ، كنقطة بداية ، الوصية القائلة بان الانسان لم يعد يملك اية صفات وهذا هو بالتحديد ما يدمر الادب .

لم يكن ممكنا عند الحديث عن القواعد التي تحكم تطور الادب في العالم الرأسمالي أن نعرض الصورة ونسئ النطورات التقدمية التي تحرز أهمية متزايدة .

فتلك النطورات قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بما تحقق فعلا في أدب العالم الاشتراكي ، فالتفاعل المتزايد بين الاتجاهات التقدمية في عالم الادب قد أكسبها مجالا واسعا تحتل فيه الاعمال الأدبية مكانها في علاقة جوار جغرافية بين كل منها والآخر وبني داخل الحدود القومية الواحدة ، كما انها ترتبط في نفس الوقت بالاحداث الأدبية الأخرى البعيدة عنها جغرافيا . ولذلك فان الاصطلاحات المألوفة في التاريخ الأدبي ، والمرتبطة بالتوزيع الجغرافي على الخرائط ، تحتاج لان تزود ببيانات جديدة .

ان المجادلات المستمرة عن التطور الأدبي المعاصر تساهم بوضوح في تفسير الميار القائم . فنضال الثقافيين داخل كل ثقافة قومية في العالم الرأسمالي ينتشر بصورة هائلة ، لان علاقة الايديولوجية الخلافة للتطورات التقدمية في أدب العالم الرأسمالي ، بتلك النطورات التي حدثت في الأدب الاشتراكي هي الان عامل فعال بصورة مستمرة ، حيث تتزايد بدرجة كبيرة الأهمية التاريخية للواقعية الاشتراكية لتصبح واضحة تماما .

ان التفسير العلمي حقيقة لمشكلة أسلوب الفني وفردية الكاتب لا بد من ان يعتمد على وجهة نظر التطور الأدبي المعاصر . وهذا هو الشيء الأكثر الحاحا . لانه من وقت لآخر تظهر نظريات عن « أسلوب حديث » تنادي بتجميع كل الأشياء معا . تلك النظريات لا يمكن النظر اليها الا باعتبارها محاولة لخلق صورة مزيفة تماما لعالم الادب في عصرنا .

ولهذا السبب كان الامر يبدو غاية في الحماسة لو اننا وضعنا ابحاث روبرت موزيل وهيرمان بروش في درجة متساوية مع الأبحاث الاشتراكية التي قام بها جوهانز بخر ، فعلى الرغم من انها تنفق في وقت ظهورها الا انها لا تستطيع ان تعطي مفهوم « الأسلوب الحديث » أي محتوى حقيقي . ان هذا كان سيمتني بالأحرى ، التسليم بحتمية ان يظل الفكر البرجوازي بكل هوسه الحديث سائدا منتشرا . واستحالة التسليم بهذا الامر مسألة واضحة تماما ، كما ان المفهوم الجديد عن « الأسلوب الحديث » ليس له معنى على الاطلاق ، لان هناك

الأوروبي الحديث ، بينما لا يتضمن شيئا عن أوروبا الاشتراكية ، مما يمكن المؤلف عمدا من ان يحرف صورة الواقع ويعطي كل اهتمامه بدساليب الإنسانية التي تميز الأدب الحديث في العالم الرأسمالي ، ويمكنه كذلك من ان يصور حالة أدب العالم كله في هذا الاطار .

ان « أليزيه » يعرف بالطبع ، ان الأدب الإنساني العميق الذي يقاوم الانحطاط الجديد ، يوجد في العالم الحديث . ولكنه يتجاهل هذا الأدب محاولا ان يبني تعريفه للأدب الحديث على مفهوم « التخفي عن الانسان » ، ولذلك ليس غريبا انه يكرس فصلا خاصا من كتابه للحديث عن « فديسية الياس » .

ان ضياع الانسان يتأرجح ثقيل كالكلمة فوق الأدب الحديث في العالم الرأسمالي ، وعلم الجمال الكامل للموديرنيزم مشتق من التسليم بهذا الضياع ، الذي نبهته محاولات وحيل معقدة لتحويل اللانسانية الى ذاتية متطرسة للفرد ، الى « حلة » حسب المودة الحديثة جدا بحيث يكون على الأدب المعاصر ان يوائم نفسه لكي يتلوى بداخلها .

ولا بد من ان نلاحظ ما يشير الانتباه في هذه الظواهر ، مثل رواية روبرت موزيل « الانسان بلا صفات » التي لم يهتم بها احد لفترة طويلة . . لقد كتبت « التاييم » عن المؤلف انه أعظم روائي يكتب في ألمانيا في النصف الاول من هذا القرن وواحد من اكثر الكتاب المجهولين في هذا العصر . ان عنوان الرواية يساعد في الحقيقة على تأكيد النزعة التجريدية التي تتضح بدرجة كبيرة في الروايات المعاصرة ، والتي يحاول الناس في الواقع ان يجعلوها اكثر عمقا عن طريق احياء محمهم موزيل التي لم تكن متلائمة في أي مكان ، والتي فيها يتبرس اللامعنى للوجود الإنساني كما لو كان أمرا محتملا .

ان البلدة التي يقع فيها حدث الرواية تسمى « كاكانيين Kakanien والحروف الأولى من هذا الاسم الخيالي - Kaiserlich Königlich

هي اسم مستعار بوضوح من النمسا - هنغاريا . ووجود « كاكانيين » الرمزية في الرواية - حيث لا وجود لها على أية خريطة - يكشف قصد المؤلف في الحديث عن الوقائع التي تكرر نفسها بلا نهاية وعن الأساليب التي تنتشر في ميدان اجتماعي فسيح .

وروبرت موزيل يكشف بموهبة غير مشكوك فيها ، في روايته التي ليس لها نهاية والتي لا تزال ناقصة ، عن التفاهة الكاملة والتجاهل التام لقدرات وصفات وخواص الانسان في مملكة العيش ، كما يبدو العالم المعاصر في عينيه .

ونحن نلتقي بشيء مشابه لهذا في ثلاثية هيرمان بروش « السائرون نياما » التي تحمل هي الأخرى كثيرا جدا مما في أسلوب الرواية الأخيرة . فان لها نفس الأغراض التي في رواية موزيل ، ونتيجة لعدم الاحساس بالواقع ، فان هناك نفس الاستحالة السابقة لتحقيق أي شيء إنساني حقيقة .

فالفصل الاستنتاجي من هذه الثلاثية المسمى Zerfall der werte يؤكد العذاب وترقب الشر السابق على السقوط .

ان بروش ، مثل موزيل ، يقدس ذلك المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحرم الانسان من كل الخواص الكامنة فيه ويهلكه الى درجة العمق النفسي . ويركز بروش على المستوى النفسي الخالص لكي يكشف عن تجريد الواقع في أي « كاكانيين » رأسمالية ، وهذا يمكنه من أن يعطي شخصياته نوعا من شعبية « السير النائم » . لقد بدأت ثلاثية بروش تأخذ أهميتها بصورة متزايدة في الأدب الحديث نتيجة فقط للكثافة التي تظهر بها تدمير الانسان ، والسلبية الباردة ، وربما أيضا شراسة الانسان المحملق في الهوة .

وليس من قبيل المصادفة ان يجذب بعض الناس تجاه أعمال من هذا النوع ويعملوا على بعثها من زوايا النسيان . فالتحليل النهائي لهذه الظواهر في تطور الادب ، واكثر من ذلك في حركة تجديد الادب البرجوازي الحديث ، يكشف عن وجود أسلوب له علاقة محددة بنموذج الفردية المعاصرة . . انه أسلوب الادب الذي وصل الى حالة الانحطاط .

منشورات « دار الاداب »

تطلب في القاهرة

من

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب

(سليمان باشا سابقا)

فأصلا حادا وواضحا بين الاتجاه الاشتراكي في عالم الأدب وبين الاتجاهات المختلفة المضادة له والمرتبطة بالازمات النفسية للعالم البرجوازي .

وعندما ننبد النظريات الخاصة بايدولوجية الوجود المشترك ، فإننا لا نفكر في الحاضر فقط وإنما في المستقبل كذلك . ان مستقبل عالم الأدب يقترب بسرعة هائلة ، ونحن نعرف انه سيأتي الوقت الذي تسود فيه الاداب الاشتراكية ، دافعة امامها التهويمات الادبية التي لا تزال تشعشع فوق كرامة الانسان ، لكي تنزوي بعيدا في التاريخ .

هناك على الاقل فكرتين رئيسيتين لا بد من تمايزهما ، وهما اللتان تجمعت حولهما كل النتائج والتعميمات الجوهرية لتأكيد أهمية وقدرات الشخصية الخلاقة في فهمنا الاشتراكي لها . هاتان الفكرتان الرئيسيتان هما حرية الإبداع . . ومسؤولية الإبداع .

ففي الظروف الاشتراكية فقط يستطيع الانسان ان يتكلم عن الحرية الخلاصة للإبداع ، وليس في ظل الإوهام التي يعزي بهنسا الفرديون - الذين كيفوا مع ظروف العالم البرجوازي - أنفسهم . وعندما تكلم مكسيم غوركي في عصره عن « الحرية غير المحدودة اجتماعيا للإبداع » كان يضع في اعتباره التغيرات الجذرية التي أحدثتها المجتمع الاشتراكي في موقف الفنان . لان الشخصية الخلاقة ، في بداية التاريخ ، كانت لديها القدرة لان تكشف الى أقصى مدى عن كل ما تملكه في داخل ذاتها .

ان كل السدود في الواقع مفتوحة امام الكاتب في ارض الاشتراكية ، ففي الظروف الاشتراكية تتمتع الشخصية الخلاقة بهذه الحرية الذاتية وبالفرص الوفيرة التي تجعل مجال البحث للفنان غير محدود . بينما يتضح في نفس الوقت ان اكثر الملامح وضوحا لما سمي مدرسة « الرواية الجديدة » هو محاولة ابعاد فردية الكاتب عن العملية الإبداعية . ففي هذا المعنى بالتحديد يستخدم روبرت جرييه تعبير « ابعاد التأثير » ، لانه يسعى من اجل رواية يكون فيها اتجاه الكاتب فيما يصوره شيئا لا وجود له على الاطلاق .

ووجهة النظر هذه لا يمكن ان تؤدي الى التفسيرات الهامة في طابع الرواية الحديثة التي يود أبطال مدرسة « الرواية الجديدة » ان يحققوها . فمن الواضح تماما انه في هذا الجانب من غرب أوروبا الرسمية المعاصرة ينحصر الامر فقط في احياء شيء مثل تجريدية

أبيوت التي أعلن عنها في بداية عام ١٩٢٠ .

ومن الواضح كذلك ، ان التجديد والتطور الحقيقي في الرواية يعتمد على روح الفن الاشتراكي . وهذا يعني في نفس الوقت جانبا اخر من الدليل على ان الاتجاه الاشتراكي في الأدب يوفر فعلا حرية ابداع ويوفر كذلك الفرص للشخصية الخلاقة بصورة تعجز الطريقة الرأسمالية في الحياة عن توفيرها .

ان الحرية الخلاصة لا يمكن ادراكها بالطبع ، بدون التزام كامل . فما هو نوع هذا الالتزام ؟ . ان الكاتب الذي لا يعزل نفسه عن الشعب ، الذي يعيش حياة واحدة مع الشعب ، انما يعطي معنى واحدا فقط لفكرة الالتزام : كل شيء لا بد من ان يتفق مع مصالح الشعب . لان الشعب هو القوة العظيمة ومصالحه تشمل على كل ما في الواقع من نراء وتعدد . ولقد يسدو الامر بالنسبة للشخص المتحامل فقط كما لو ان ذلك سوف يتحكم من الاعمال الخلاقة للكاتب . كلا . . ان هذا الالتزام هو وحده الذي سوف يساعد الكاتب على ان يطلق قدراته بغير حدود .

وربما يقول قائل ان التزام الكتاب المعاصرين في الغرب أصبح مألوفنا ، فقد اصبح حتى اولئك الذين لا علاقة لهم بالتفكير الجسدي عن التزام الكاتب شغوفين بالحديث عن هذا الالتزام . ولكن هذه السفسطة التي لا نهاية لها حول التزام الكاتب اصبحت عملا متقنا في مجالات أدبية معينة ، وتبعاً لذلك يتحول التزام الكاتب دائماً ليصبح التزاما نحو نفسه . وبذلك نسقط مرة اخرى في سرايب الفردية والذاتية المليئة بالعديد من المنعطفات المظلمة ، حيث الفنان « الفردي » الحديث ، المرتبط بواحد منها ، يعزى نفسه بوجهة النظر القائلة ان الوضع غير قابل للذوبان .

ان وجهة النظر الاشتراكية عن التزام الكاتب ، التي تشمل على كل مكونات الشخصية الخلاقة ، مرتبطة مباشرة بالدور الاجتماعي للكاتب ، بحقيقة ان ما يبده يصل الى جماهير النوع الانساني ، ويولد ملامسة مع شعور الكثيرين ويربيهم .

ان الاقتراب من روح الشعب هو انتصار هائل للادب الاشتراكي وهو يحدد مجال ابحاثه ومنجزاته الإبداعية . ومعنى الالتزام القائم على هذا الاساس ، يهب الكاتب في العالم الاشتراكي تأييدا هائلا ويساعده في كل مراحل عمله .

ان مسائل الاسلوب الفني وفردية الكاتب تؤدي بنا حتما الى

دَوْرُ الْعَرَبِ

فِي تَكْوِينِ الْفِكْرِ الْأُورُوبِيِّ

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

يستعرض هذا الكتاب الهام اثر العرب في تكوين الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى ، فيتحدث عن دور العرب في الشعر والفكر العلمي وتكوين الفلسفة والمعارف والموسيقى والعمارة في أوروبا ، ويلقي ضوءا جديدا على التأثير العربي العظيم في القرون الوسطى .

الثنى ٣٥٠ ق . ل

صدر حديثا عن دار الاداب

روحانيت بليّة

قلبي يا مسكين .. هذا ما قالته العينان
لو لم تهرب مني الكلمات
لتسلقت الجدران ..
لو لم يكن الثقل الملقى فوق القدمين
لتعلقت هنالك بالانسام .
ولكان غنائي اول صوت يسمع فوق الاغصان .
ولكنت سكبت على اسماع القمر الساحر اغنيتين
أصهر في الاولي أحزاني .. بمياه الحب الشفاف
وأرقرق في الثانية دموع الصفا .
لكن الثقل الملقى فوق القدمين
يجعلني أحلم بالتهدين وبالساقين

محمد السيد ندا

القاهرة

قلبي يا مبدعة الحب
عند القصر تمهل ثم وقف
يا ذات الاهداب السوداء
جرعة ماء ..
الشرفة ما زالت موصدة .. والشمس تنام على كتفي
يا ساكنة القصر أطلّي
هذا ما قالته الدقات الدافئة الرعاء
يا ساكنة القصر ..
يا ذات الثوب المنقوش بألوان الفجر ..
.....
وأطلت فانتني من خلف الشباك الموصل
قلبي يا ظمآن

التكنيكية ، وبصفة خاصة لما يسمى بالعصر النووي ، قد انعكست
بدرجات متفاوتة في ظروف العالم البرجوازي والعالم الاشتراكي .
اما السرعة المحمومة للنض في العديد من التطورات المتكررة
الزيفة في الانحطاط المعاصر للادب . بينما لا يكون هناك في ظروف
العالم الاشتراكي مثل هذا التذبذب واختلال التفكير المؤلم السني
يجرح الوجدان ، لان النض في هذا العالم يظل نبضا انسانيا عاديا .
ان المجتمع الاشتراكي مرتبط في الحقيقة ارتباطا عميقا بالثورة
التكنيكية في هذا القرن ، وبالتقدم الهائل للعلم الحديث بكل مكتشفاته .
ولكن ذلك كله لا يجعل الانسان الاشتراكي يفقد الامل ، ولا يجعله
يفوص في حالة من الاذلال النفسي .. ولا يدمره ، وانما على العكس
من ذلك تماما ، يزيد من وعيه بقوته الذاتية .

ان وجهة النظر الاشتراكية في مسائل الاسلوب الفني وفردية
الكاتب تشتمل على جميع مكوناتها في ارتباط مع الواقع المعاصر . انها
مليئة بالامان في قوة الانسان المطلقة ، وقائمة على حقيقة ان الثورة
الاشتراكية قد فتحت آفاقا غير محدودة أمام الفنانين المبدعين فسي
عصرنا الحاضر وفي عصور المستقبل .

ترجمة كمال عطية

ضرورة فهم مشكلة الثقافتين .. اننا بناؤون لثقافة اشتراكية ووارثون
لكل ما هو طيب وتقدمي في ثقافة الماضي كلها .. ونحن نحمل الميراث
العظيم من طوفان الانحطاط الادبي المعاصر ونكشف القناع عن مزاعم
مفكري الانحطاط الذين يزعمون بانهم يمثلون الثقافة المعاصرة ، فهؤلاء
في مقدورهم ان يتكلموا فقط عن الثقافة المنحطة في العالم الرأسمالي .
كما اننا ضد المحاولات التي تبذل لجعل الثقافة الهابطة
للبرجوازية المعاصرة هي الثقافة الوحيدة في العالم الحديث ، وضد
محاولات فرض مقاييسها على كل شيء .

فليس هناك نظرية عن « اسلوب حديث ووحيد » يمكن ان يتحد
تحت لوائها كل ما هو اشتراكي وما هو برجوازي في الادب .
وقد نسمع البعض يقول على سبيل المثال ، ان المستوى الحالي
للمدينة التكنيكية يؤكد نفسه بدرجة متساوية هنا وهناك عندما يكون
« نبض العصر مسرعا جدا » ، وان أشكالا معينة وشائعة في الادب
سوف توجد حتما بحيث تعكس بدرجة متساوية كذلك تأثير المكتشفات
التكنيكية الحديثة على التفكير الانساني .

وقد يبدو من النظرة الاولى ان في هذا القول بعض العقولوية ،
الا انه اذا ما لخص بصورة جديّة فسوف يتضح على الفور ان الثورة